﴿ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، «فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها»(١).

٢- الثبات في المعركة بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ومن الكبائر في الإسلام الفرار من الزحف؛ كما قال رسول الله ﷺ، **(اجتنبوا السبع الموبقات)**، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **(الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)**(٢).

٣- الثبات على عهد الله بتبليغ الدين ونصرته:

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

«**فقوله:** ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤدياً لحقه، لم ينقصه شيئاً، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء يحبه ولما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٢٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] (٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٩).

يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد، ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال»[١].

٤- الثبات على الدين في أيام الفتن:

ومن مجالات الثبات، الثبات في الفتن في أيام الصبر التي وصفها رسول الله ﷺ: **(يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه، كالقابض على الجمر)**[٢].

٥- الثبات على الطاعات:

ومن أهم صور الثبات المداومة على الطاعات، فالمطلوب في بعضها المثابرة عليها، فحين سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **(أدومه وإن قلَّ)**[٣].

◈ رابعاً: وسائل الثبات في حياة الدعاة:

١- المداومة على قراءة القرآن من أسباب الثبات على دين الله:

فكثرة قراءة القرآن مما يعين على الثبات، لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

ففي القرآن الوعد والوعيد والبشرى والنذير، وفيها قصص وتجارب الأنبياء السابقين، الذين ثبتوا فكانت عاقبتهم الفلاح، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود١٢٠].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٠.

(٢) جامع الترمذي، كتاب الفتن، باب٧٣، (٢٢٦٠). وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٠٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٧٨٢).

٢- سؤال الله الثبات:

فالتثبيت من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ولذا كان من دعاء طالوت ومن ومعه من الثابتين: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقال تعالى عن نبي من أنبياء بني اسرائيل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

ومن دعاءه ﷺ في سجوده: **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[١].

٣- الصبر:

فقد ثبت الله نبيه ﷺ بأمره بالصبر مصحوباً بالتأكيد على وعد الله النافذ وعدم الركون إلى تثبيط الكفار: قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

وأمر الله نبيه ﷺ بالصبر اقتداء بالأنبياء قبله، قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مثبته على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة، وأمره بالاتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد»[٢].

(١) تقدم تخريجه ص ٩١.

(٢) جامع البيان ٢٢/ ١٤٥.

٤- التوكل على الله والاعتماد عليه وإحسان الظن به وبنصره:

فقد تثبيت الله نبيه على الحق بأمره بالتوكل، فقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩]. «أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء. ﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الواضح، والذي على الحق -يدعو إليه ويقوم بنصرته- أحق من غيره بالتوكل؛ فإنه يسعى في أمر مجزوم به، معلوم صدقه لا شك فيه ولا مرية. وأيضا فهو حق في غاية البيان لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حُمِّلت، وتوكلت على الله في ذلك؛ فلا يضرك ضلال من ضل وليس عليك هداهم»(١).

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتوكل عليه واصفاً نفسه بـ(الحي الذي لا يموت) في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فكل من سوى الله تعالى -مهما عظمت منزلته وقوته- فمصيره الهلاك، والهالك لا يجلب نفعاً لأحد اعتمد عليه من دون الله.

٥- قوة الصلة بالله وطاعته والإكثار من ذكر الله:

فقد أرشد الله تعالى نبينا محمد ﷺ إلى كثرة العبادة والذكر؛ لكي يعينه ذلك على الثبات على الدعوة وتبليغها مهما واجهته من صعوبات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [ق: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٠٦.

القيمة الثالثة

التضحية

أولاً: مفهوم التضحية وأهميتها:

والمقصود بقيمة التضحية: بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية، وليس في الدنيا جهادٌ لا تضحية معه، ولن تضيع في سبيل الدعوة تضحية، وإنما هو الأجر الجزيل و الثواب الجميل.

والدعوة تحتاج إلى تضحية، والفرق بين الداعية الصادق الحريص على دعوته وغيره هو: مدى تحقق قيمة التضحية من أجل دعوته في حياته.

فالدعوة تنجح إذا:

١- قوي الإيمان بها.

٢- وتوفر الإخلاص في سبيلها.

٣- وحصلت التضحية والعمل لتحقيقها.

فلا معنى لإيمانٍ لا يتبعه عمل، ولا فائدة في عقيدةٍ لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها، والأمة الناهضة ستواجه من مطالب العصر الجديد مالا تستطيع الوصول إليه إلا بالتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ بعد توفيق الله تعالى.

ولا تُنال المعالي بالأماني، ولا تقوم الدعوات إلا على ألوان البذل والتضحية بشتى صنوفها، وإذا عُرف أن ابتلاء الدعاة سنة ماضية تبين أن الدعوة الحقة لا تقوم بلا تضحية.

فالثغرات على الدعوة الإسلامية تتسع يوماً بعد يوم، وتكثر المجالات الشاغرة التي تفتقر إلى من يقوم بها، ويتزامن مع هذا قلة الموارد، وجفاف المنابع، وضيق ذات الدعاة مما يُخشى أن يشكل خطراً على بعض الدعاة وكثيراً من البرامج، وفي المقابل تزداد جهود أهل الباطل قوة، وتزداد مخططاتهم دقة، وتتعدد أنشطتهم لتشمل شتى الجوانب وهنا تظهر الحاجة للتضحية في سبيل الدعوة[١].

☜ ثانياً: شواهد التضحية والحض عليها:

١- التضحية في الدعوة هي التجارة الرابحة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

«لما هدى الله تعالى المؤمنين إلى الإيمان، والأنفس مفتونة بمحبة الأموال والأنفس، استنزلهم لفرط عنايته بهم، عن مقام محبة الأموال والأنفس، بالتجارة المربحة، والمعاملة المرغوبة، بأن جعل الجنة ثمن أموالهم وأنفسهم، فعرض لهم خيراً مما أخذ منهم»[٢].

---

(١) ينظر: مقال بعنوان: حاجة الدعوة إلى البذل والتضحية، لعبد الحكيم بن محمد بلال، موقع صيد الفوائد.

(٢) محاسن التأويل ٥/ ٥٠٩.

«وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة فانظر إلى المشتري من هو؟! وهو الله جل جلاله. وإلى العِوَض؛ وهو أكبر الأعواض وأجلها: جنات النعيم. وإلى الثمن المبذول فيها؛ وهو النفس والمال الذي هو أحب الأشياء للإنسان. وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع؛ وهو أشرف الرسل. وبأيِّ كتاب رُقِمَ؟! وهي كتب الله الكبار المنزَلة على أفضل الخلق»[(١)].

٢- الوعيد لمن لم يضح في سبيل الله:

فالقرآن يبين الوعيد لمن آثر أهله، أو ماله، أو مسكنه على الدعوة إلى الله ورسوله والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

«وخص الجهاد بالذكر من عموم ما يحبه الله منهم تنويها بشأنه، ولأن ما فيه من الخطر على النفوس، ومن إنفاق الأموال ومفارقة الإلف، جعله أقوى مظنة للتقاعس عنه، لا سيما والسورة نزلت عقب غزوة تبوك التي تخلف عنها كثير من المنافقين وبعض المسلمين»[(٢)].

«إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين، وبين جميع مهمات الدنيا. وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا»[(٣)]، ومن أعظم المصالح الدعوة إلى الله تعالى وتوحيده وشريعته.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٥٣.
(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ١٥٣.
(٣) محاسن التأويل ٥/ ٣٦٧.

٣- تذكر تضحية رسول الله ﷺ وصحابته وثمرة تضحيتهم:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ففي الآية إشارة لما يلحق الدعاة في كل زمان ومكان، فما كان لداعية أن يرغب بنفسه عن مثل ما تعرضت له نفس رسول الله ﷺ في سبيل هذه الدعوة.

فقد كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير[(١)].

ثالثاً: مجالات التضحية وصورها في الدعوة:

وعلى ذلك فمجالات تضحية الداعية كثيرة وواسعة، أهمها:

١- **التضحية بالنفس وبذلها في سبيل الله إعلاء لكلمته،** ودفاعاً عن شريعته، ورفعة لدينه ودعوته، سواء كان في ميدان البيان أو النزال ومقاومة الظلم والطغيان.

٢- **التضحية بالمال:** وبذله في سبيل الله، وهو اسم عام جامع لكل مجالات الخير.

٣- **التضحية بالوقت:** ببذله في الدعوة إلى الله تعالى، وتعليم المسلمين أمور دينهم، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخدمة المجتمع، والسعي في قضاء حوائج الناس، ونصرة المظلوم.

٤- **التضحية بالجاه والمنصب:** بتسخيرها في سبيل الدعوة إلى الله، أو تركها إذا تعارض ذلك مع الدعوة إلى الله ونشر دينه.

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٦) وكرمه (١٨٠٣، ٣٠٤٨، ٣٣٦١، ٤٧١١)، ومسلم كتاب الفضائل، باب: كان النبي ﷺ أجود الناس (٢٣٠٨).

٥- **التضحية بالمغريات الدنيوية**، وترك الركون للدنيا والاقتصاد في متطلبات الحياة في سبيل الدعوة إلى نشر دينه.

٦- **التضحية بالراحة والنوم واللذة**، فيتعب ويسهر ويجهد نفسه في سبيل الله محتسباً.

٧- **الجـــود بالعلـــم**، ومنه تعليم الناس، وإجابة السائلين بما يشفيهم، وهي زكاة العلم.

٨- **التضحية بالجاه**، كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه.

٩- **التضحية بنفع البدن على اختلاف أنواعه**، كخدمة بدنية، وكلمة طيبة، وفكرة نافعة.

١٠- **التضحية بالعِرض**، والتصدق بالعفو عمَّن شتم أو قذف أو اغتاب.

١١- **التضحية بالصبر والاحتمال وكظم الغيظ.**

١٢- **التضحية بترك مـا في أيدي الناس، وعدم الالتفات إليه أو التعرض له بالحال أو اللسان.**

ويجمع ذلك كله الجود في سبيل الله بالنفس والمال والجاه وما يتبع ذلك علماً وعملاً.

☜ رابعاً: موانع التضحية:

إن لموانع التضحية أسـباباً أسـاسها ضعف الإيمان، وبرود اليقين، ومردها إهمال التربية أو ضعفها، وإن كان كثير منها يعـود إلى الشح بالمال، لكنها تحتمل وجوهاً أخرى إضافة إلى أسباب أخرى عامة، منها:

١ - طول الأمل.

٢ - التفات القلـب إلى الولد.

٣ - فتنة الأزواج.

٤ - الركون إلى الدنيا، وكونها الهمَّ والشغل الشاغل، وإيثار الدعة والراحة.

٥ - حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال.

٦ - حب عين المال، والسعي للغنى والهروب من الفقر بلا نية صالحة.

٧ - تزعزع القناعة، والثقة، وسلامة الطريق الذي يسير عليه.

٨ - انعدام الجدية، ودنو الهمة، والعجز والكسل.

٩ - الانشغال بالتضحية من أجل أهداف ومصالح شخصية.

١٠ - الوصـــول إلى بعض الأهداف الدنيوية لنيل شهرة، أو تحصيل جاه أو شرف، أو منصب، يكون نهاية الجهد والعمل.

١١ - ضعف معرفة الواقع، وضخامة حاجة الدعوة، وجهود الأعداء، أو الجهل بذلك.

١٢ - الشعور بالأثرة، وحب النفس.

وعلاج ذلك كله ترك التعلق بغير الله ﷻ، مع حسن الثقة به والتوكل عليه.

☜ **خامساً: بواعث الجود والتضحية:**

يحصل بعث النفس على التضحية بأمور هي في حقيقتها علاج للعلل المانعة منها؛ وذلك بالأمور الآتية:

١- دفـــع كل علة من العلل السابقة بما يضاد سببها؛ فعلاج حب الشهوات: القناعة والصبر، وعـــلاج طول الأمل: كثرة ذكر الموت، وعلاج التفات القلب إلى

الولد: اليقين بتكفل الله ﷻ برزقه ورعايته، وعلاج حب المال: تعميق محبة الله في القلب، ومحاولة بذل القليل إضعافاً لمحبة المال.

٢ - معرفة حقيقة الابتلاء بالنعم، وأن لله تعالى في كل نعمة شكراً يليق بها؛ فالصحة لها شكر يناسبها، وكذا الوقت والجاه والقوة والذكاء والمال، وأن كلاً منها منحة وعطية ورعاية من الله ﷻ لينظر الله أعمالنا، ويظهر الشاكر من الكفور.

قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

٣ - تذكُّر: أن ما قدمه الإنسان فلنفسه، فهو المستفيد منه حقَّاً، أن مال الإنسان هو ما أنفقه في حياته، أما ما تركه فهو مال الورثة، وأن إخراج ما زاد على حاجة الإنسان هو الخير له، **(يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك...)**[(١)].

٥- معرفة واقع المسلمين وحاجاتهم، وخطط الأعداء وجهودهم، والتقصير الحاصل في فروض الكفايات، مما يزيد الواجب وجوباً على أهل الكفاية والغنى والمواهب والقدرات.

٦ - التعود على تقديم القليل حال الفقر والحاجة، وبشكل أخص في أوقات الشدائد والأزمات، التي تكثر فيها حاجات الدعوة، وتستدعي مزيداً من التضحيات، قال تعالى: في مدخ الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: **(أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى)**[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الكسوب، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة (١٠٣٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح (١٤١٩)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (١٠٣٢).

القيمة الرابعة

المسؤولية

أولاً: مفهوم المسؤولية:

تنوعت مفاهيم المسؤولية بتنوع زاويا النظر إليها، ومن أجمعها:

أنَّ «المسؤولية تعني: تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العلمية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة»(١).

وقيل «بأن المسؤولية: حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة»(٢).

وقيل: «حالة أو صفة من يسأل عن أمرٍ تقع عليه تبعته، يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل -أي- من تبعته، وتطلق (أخلاقيًّا) على: إلتزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، وتطلق (قانونيًّا) على: الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً لقانون»(٣).

فالمسؤولية حملٌ ثقيلٌ، وشعورٌ بالواجبِ؛ يوجه تفكير الشخص كما يوجه سلوكه وأقواله ومواقفه، وهي: القدرة على الالتزام بالتكاليف والتعهدات، والإنجاز للمهام بشروطٍ معلومةٍ.

---

(١) التربية الأخلاقية الإسلامية. لمقداد يالجن، ص: ٣٣١

(٢) نضرة النعيم ٨/ ٢٤٠٠

(٣) المعجم الوسيط ١/ ٤١١.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن المسؤولية الدعوية هي: شعورٌ بالواجب الدعوي، وتقدير الداعية لمهمته، وعلمه بالمحاسبة أمام الله، يوجه تفكير الداعية وسلوكه وأقواله ومواقفه وحياته نحو البذل للدعوة.

❑ ثانياً: أدلة مفهوم المسؤولية:

المسؤولية داخلة في الأمانة؛ التي قال الله عنها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وهناك آيات صريحة تنبه على المسؤولية، وأن كل إنسان مسؤول عن نفسه وكل ما يوكل إليه:

ففي مقام المسؤولية عن الجوارح يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفي مقام المسؤولية عما يقطعه على نفسه من العهود ويلزم به نفسه من المواثيق مع الآخرين، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وفي مقام المسؤولية عن أي عمل يقوم به الإنسان وما ترتب عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣].

وفي مقام المسؤولية عن نعم الله التي أنعم الله بها على الناس يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨].

وفي مقام المسؤولية الدعوية قال الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]، أي: « ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ﴾ الأمم: ما عملوا فيما جاءت به

الرسل؟ ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ﴾ الرسل: هل بلغوا ما أرسلوا به؟»[١].

فهذه الآية تدل على أن المحاسبة على المسؤوليات الدعوية تعم الرسل والمرسل إليهم كل حسب ما ألقي عليه من التبعات والمسؤوليات.

كما أن أهل العلم بصفة خاصة تقع على عاتقهم مسؤولية عظيمة قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وبين لنا الرسول ﷺ أن كل عاملٍ مؤتمنٍ على العمل الذي يقوم به، ومطالبٌ بحسن إدارته، والسعي في تحقيق صلاحه، فقال: **(كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته؛ الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤولٌ عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته)**[٢].

وقال: **(إنَّ الله يُحب إذا عَمِل أحدكم عملاً أن يتقنه)**[٣].

❑ ثالثاً: أهمية إدراك الدعاة لقيمة المسؤولية:

المسؤولية هي شعور بالواجب يُوجِّه تفكير الداعية وسلوكه وأقواله ومواقفه، فهو مظهر إحساس الداعية بعظمة الله تعالى، وتعبير عن الانقياد له، ومنطلق العمل في سبيله، فالشعور بالمسؤوليةِ قوةٌ تجعل الداعية قادراً على بلوغ مقاصده، وتحقيق مطالبه.

---

(١) جامع البيان ٥/ ٤٣٠.

(٢) صحيح البخاري، في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه (٢٤٠٩)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر.. (١٨٢٩).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٢٣٢ (٤٩٢٩) وحسنه الألباني، في صحيح الجامع رقم (١٨٧٦).

فحياة الداعية أمانة تتطلب المسؤولية، والدين أمانة في عنق الداعية يتطلب المسؤولية، وأبناء الداعية أمانة يتطلبون المسؤولية، وحِرفة الداعية أمانة تتطلب المسؤولية، فينبغي أن يؤديها حسب إمكانه ومكانته وقدراته.

ويترتب على إدراك الدعاة مسؤوليتهم:

١- التفاني في الدعوة والإحساس بأهمية دوره الدعوي والتضحية في سبيل ذلك.

٢- الوعي بالتحديَّات والمخاطر التي تهدِّد الأمَّة الإسلاميَّة، فإنَّ معرفة الأخطار والمؤامرات التي تحاك ضدَّ الأمَّة؛ فيها شحنٌ للهمَّة، وتقويةٌ للعزيمة، ودفعٌ للذاتيَّة، وإقدامٌ على تبليغ دين الله والأخذ بالأسباب في مواجهة هذه التحدِّيات التي تريد النيل من الإسلام والمسلمين.

٣- مراعاة الاحتياجات والمصالح الدعوية، ودرء المفاسد عن الدعوة، والبدء بالأهمِّ ثمَّ المهمّ، ومراعاة فقه الأولويَّات الدعوية.

٤- أن يكون نموذجاً وقدوةً لمن يدعوهم في أخلاقه وأعماله، وإلا كان منفراً عن الدعوة، فلا يضع نفسه في موضع الشبهات ولا تصرفاته موضع الانتقاص.

٥- الشعور بالمسؤولية الدعوية هو الوقود الذي يحرك الداعية نحو الهدف.

٦- المسؤولية الشخصية هي عنصر لا غنى عنه من أجل تقدير الذات الإيجابي.

٧- المسؤولية تؤدي إلى الاعتماد على النفس بعد الله تعالى، وعدم انتظار دعم أو توجيه الآخرين.

٨- المسؤولية تقتضي عدم التسويف والارتجال والعجز والكسل والتهاون، والفردية.

❑ رابعاً: وسائل تعزيز المسؤولية الدعوية:

فالداعية إلى الله لا بد أن يعلم حجم المسؤولية التي أُلقيت عليه، فبمقدار معرفة الداعية لمسؤولياته ووعيه لها، ثم حِرصه على تحقيق المصلحة والفائدة المرجوة منها، يكون مجتمع الدعوة متعاوناً فعالاً تسوده مشاعر الانسجام والمودة بين أفراده.

لا بد أن يدرك الداعية مسؤوليته وقيمته، ودوره في بناء الأمة ومجدها، والتعريف بدين الله تعالى وإبلاغه للعالمين، وأنه لو قصر أو أهمل في بيانه وبلاغه لحصل الخلل، وليتمثل قول القائل:

قـد رشـحوك لأمـر لـو فطنـت له ... فاربأ بنفسك أن ترعي مع الهمل (١)

وهناك وسائل كثيرة تساهم في تعزيز المسؤولية في حياة الداعية، وهي كالآتي:

- تَعَرُّفُ الداعية على قدراته وإمكانياته.
- تَعَرُّفُ الداعية على مجتمعه واحتياجاتهم الدعوية.
- تحديد الداعية لدوره ومسؤولياته الدعوية في المجتمع.
- تنمية المهارات الدعوية لديه تلبية لاحتياجات مجتمعه.
- تنفيذ الداعية لالتزاماته ومسؤولياته المنوطة به، وأداء دوره بأمانة.
- التعرف على التحديات والمشاكل المتوقعة، ووضع الحلول المناسبة لها.
- وضع الأولويات، وتحديد الأعمال والمهمات المطلوب تنفيذها.
- مراعاة التوازن في المسؤوليات الأخرى بجانب المسؤوليات الدعوية، كالمسؤولية الأسرية والمسؤولية عن العمل وغيرها.

---

(١) شرح لامية العجم للدميري ص١٢٤، والهمل: الإبل التي ترعى بلا راعٍ، وأهملت الشيء: خليت بينه وبين نفسه، ينظر الصحاح ٥/ ١٨٥٤.

- محاسبة الداعية لنفسه دائماً في مجالات النجاح ومجالات الإخفاق والتقويم والمراجعة المستمرة لتحقيق الأمانة.

وبناء على ما سبق فإن المسؤولية تخطيطٌ وإحسان، إنها تخطيط وبرمجة متابعة وتقويم حتى النجاح، وسوء التخطيط أو انعدامه، أو عدم إيلائه الاهتمام اللازم قد يقود للفشل.

فالمسؤولية تقتضي: تحديد البدايات ووضوح الأهداف ومؤشرات الانجاز في غلاف زمني محدد بتكلفة بشرية ومادية محددة(١).

❑ خامساً: أسباب ضعف قيمة المسؤولية(٢):

١ - **ضعف الوازع الديني**: فمن عَمَّرَ الإيمان قلبه، وتمكنت مراقبة الله من نفسه، علم أنه غدا موقوف أمام الله تعالى وسيسأله عما كلفه من تكاليف، ولا نجاة له إلا بالقيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه، وأداء الأمانات المؤتمن عليها، والوفاء بما يجب عليه من الواجبات، فيكون المعين الأول له خوفه من الله تعالى وسعيه في مرضاته.

٢ - **ضعف الهمة**: إن مسؤوليات يسيرة يعجز عنها كثير من الغلاظ الشداد، وما ذلك إلا لأن الهمم قد ماتت والعزائم قد خارت، فتجد الصغار وقد اجتازوا العقبات وحققوا النجاحات وتحملوا المسؤوليات، وغيرهم ممن أوتي أكثر مما أوتوا يقوى على أكثر مما تحملوا وقد خذله الكسل الذي استعاذ منه النبي ﷺ، بقوله: **(اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل)**(٣).

---

(١) ينظر: المسؤولية: أمانة في قوة- عبد الكبير البغدادي١٩ فبراير، ٢٠١٣مـ. باختصار وتصرف.

(٢) مختصر من مقال بعنوان المسؤولية، لمروان محمد أبو بكر مقال منشور على موقع الألوكة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن (٢٨٢٣)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره (٢٧٠٦).

٣ - التربية غير الرشيدة: فتعليم الطفل منذ صغره تحمل ما يستطيع من المهام، والقيام بما يجب عليه من واجباتٍ أمرٌ له بالغ الأثر في شخصيته، ومن الأخطاء الشائعة قيام بعض أولياء الأمور بحل الواجبات والتكاليف لأبنائهم، مما يدفعهم للتسيب ويبعدهم عن الاستعداد لتحمل المسؤوليات عند كبرهم.

٤ - الاتكالية: فكل واحد منا مسؤول مسؤولية مباشرة عن كثير مما وقعت فيه الأمة في الحاضر من تخلف مادي وفكري، ولكننا نتكل على بعضنا في تغيير هذا الواقع، فالعامة يلقون بالمسؤولية على النخبة والعلماء، والعلماء يلقون باللائمة على الحكام، والحقيقة أن الكل عليه مسؤوليته التي يلزمه القيام بها.

٥ - الإحباط: الإحباط من أبرز أسباب القعود عن العمل وترك المهام والتقصير في المسؤوليات، وما جنى محبط غير الخسران والإخفاق، والتفاؤل هو روح الإنجاز، فالمسؤوليات لا يقوى عليها المحبطون لأن نظراتهم المتشائمة تمثل حجابا يمنعهم من الإقدام ويحجبهم عن التقدم وإنجاز ما هو من واجباتهم.

٦ - عدم وضوح الرؤية، فكثير من الناس لا يعرف المسؤوليات الموكلة له أصلا حتى يقوم بها، فمن الآباء من يظن أن مسؤوليته تجاه أولاده تنتهي بتوفير المأكل والمشرب والمسكن، وأن التوجيه والإرشاد ليس من مهمته ولا مسؤوليته، وكثير من المسلمين لا يعرف أن عليه مسؤولية تجاه أمته ودينه.

٧ - تعاظم المسؤوليات، إذ صار الجميع يصارع في كل الأصعدة، وقديماً قيل: **إذا عظم المطلوب قل المساعد**[١]، لقد كان الناس في السابق لا يعانون كثيراً مما يعانيه

---

(١) القائل هو المتنبي، ينظر شرح ديوان المتنبي للواحدي ١/ ٤٨٩، والأمثال المولودة للخوارزمي ص ٣٩٠، والأمثال السائرة لابن عباد ص٤٣.

أهل زماننا؛ فمثلا مسؤولية تربية الأبناء ومتابعتهم كانت في السابق أسهل بكثير منها في هذا الزمان الذي كثرت فيه وسائل الإفساد، ولكن هذا ليس مسوغاً لعدم القيام بما يجب القيام به من المسؤوليات، وعلى المرء أن يبذل وسعه، وأن يؤدي ما يستطيع، وإذا أديت ما عليك فلا عليك، وبقدر البذل تحصل النتائج، وبقدر الاستعداد يكون الإمداد.

٨ - **عدم تقدير من يقوم بمسؤولياته:** إن المساواة بين الذين يعملون والذين لا يعملون ميزان مختل، وهو من عوامل التقصير في أداء المهمة والقيام بالمسؤولية.

القيمة الخامسة

الإيجابية

أولاً: مفهوم الإيجابية:

تُعرَّف الإيجابية بأنها: اندِفاع الإنسان الذاتي الناشِئ عن استقرار الإيمان في قلبه، لتكييف الواقع الذي مِن حوله وتغييره وتبديلِه إن لَزِم الأمر؛ لكي يُطابِق الواقع الإيجابي الذي في حسِّه، أو هو الحافز الذي يَدفع بطاقة الإنسان لأداء عمل معيَّن؛ للوصول إلى غاية محدَّدة، مُتحمِلاً كافَّة الصِّعاب لتحقيق الهدف[١].

فالإيجابية هي أخذ زمام المبادرة إلى الحركة والعطاء والعمل، والتفاعل الجيد مع الحياة ومع الآخرين[٢].

---

(١) مقال بعنوان: الإيجابية لحسام العسوي إبراهيم منشور على موقع الألوكة، نقلاً عن كتاب الشباب في مرآة الإسلام؛ للشيخ: عبدالخالق حسن الشريف.. ولم أقف على الكتاب.

(٢) قيمة الإيجابية والفعالية - أم كلثوم أنوار، مقال منشور على موقع مغرس.

وللإيجابية نوعان:

الأول: وهو إيجابية الفرد نحو نفسه، والتي تشتمل على تطوير نفسه والارتقاء بها.

الثاني: يتمثل في تفاعل الفرد مع أفراد وقضايا مجتمعه ومشاركته في الأحداث.

➢ ثانياً: أدلة الإيجابية:

الإسلام يحث على الإيجابية ويأمر بها، وهي قيمة إسلامية ومجتمعية وأخلاقية، والأدلة على ذلك كثيرة منها، قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

فقد بينت هذه السورة أن الإنسان محكوم عليه بالخسارة إلا من كان متصفا بخصال أربعٍ، وهي في الحقيقة سمات الشخصية المسلمة الإيجابية.

قال السعدي: «عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

- الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم.

- والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.

- والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

- والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٣٤.

وهناك آيات آمرة بالمسابقة والمسارعة في الخير وهذا يدل على الإيجابية، كما قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

وورد عن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار -أو العباء- متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى، ثم خطب: فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] **(تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره)** حتى قال: **(ولو بشق تمرة)**، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: **(من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من**

عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1].

➤ ثالثاً: وسائل ودوافع الإيجابية[2]:

١- أول دوافع الإيجابية هي فرديّة التكليف، وأن الإنسان سيحاسب وحده، على ما يجب عليه لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٤، ٩٥].

٢- عدم استِصغار العمل أو النظر إليه على أنه قليل؛ فرُبَّ أمرٍ تراه صغيراً وهو عند الله كبير وعظيم؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **(لا تحقرنَّ مِن المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاكَ بوجه طَلْقٍ)**[3].

٣- النظر إلى النتائج والأجْر الكبير؛ لقول النبي قول ﷺ: **(مَن سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً، فله أَجرُها وأجْر مَن عمل بها مِن بعده، مِن غير أن يَنقُص مِن أجورهم شيء)**.

٤- ألا يُكلِّف النفس ما لا تُطيق؛ فإنَّ تكليف النفس ما لا تُطيق يؤدِّي إلى الفُتور واليأس عند الإنسان؛ قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ ولهذا فعلى المسلم أن يعمل ولا يُحمِّل نفسَه النتائج التي هي بيد الله وحده.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (١٠١٧).

(٢) ينظر: الإيجابية، لحسام العيسوي إبراهيم مع كثير من الزيادات.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦).

٥- الوعي والمعرفة: فالمتابعة الدائمة للمجالات المختلفة تساعد الفرد على استكشاف أبعاد كثيرة من الممكن أن تكون غائبة عنه، فيساعده هذا الوعي على استكشاف فرص جديدة، ومنافذ تكون في كثير من الأحيان مبهمةً له؛ مما يساعده على اقتحامها.

٦- الثقة بالنفس: فإنَّ الكثير يُضَيِّع على نفسه فرصاً للانطلاق وفعل الخير؛ سواء كان هذا الخير لنفسه أو للغير؛ نتيجة لتشككهم في قدراتهم وتقليلاً من شأنهم الإيجابي، وعكس ذلك، فثقته بنفسه تدفعه دائماً لاقتحام العوائق، وتخطي الصِّعاب.

٧- القابلية للاقتحام والمغامرة، دون اندفاع وتهوّر، مع تقدير الأمور بمقاديرها، وهذه الرغبة في الاقتحام والمغامرة تدفع الفرد إلى اكتشاف آفاق جديدة للحياة، وتساهم في إنماء حصيلةِ الفرد من الحلول، فلا يقف عند عائق متعثراً ساخطاً؛ ولكنه يمتلك حلولاً بديلةً؛ نتيجة لاحتكاكه المستمر، وخوضِه الكثير من المغامرات التي صقلت التجربة لديه.

٨- يجب أن ينحصر تفكيرنا فيما يجلب لنا الأجر ويقرِّبنا إلى طاعة الله مبادرين وإيجابيين غير متواكلين ولا متقاعدين.

٩- القراءة في قصص الإيجابيين، والقصص في غرس قيمة الإيجابية كثيرة جدّاً ويبرز ذلك في قصة مؤمن آل فرعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومؤمن آل ياسين، وقصة النملة والهدهد مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومواقف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كموقف الحباب بن المنذر في بدر، وسلمان الفارسي في الخندق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.. وغيرها كثير..

١٠- الإيجابية مهارة تكتسب بالتعلم والتطور المستمر، فالأمر كله يندرج تحت عاملين أساسيين هما: طريقة التفكير وطريقة التصرف وكليهما قابل للتغيير والتطوير، فالإيجابية مزيج من طريقة تفكير الشخص وطريقة تصرفاته التي يسلكها.

١١- انطلاق السلوك الإيجابي من التفكير الإيجابي، فقبل أي شيء ينبغي أن يدرك الشخص أفكاره، وإذا ثبتت سلبيتها فعليه بالعمل على إحلالها بأخرى إيجابية.

١٢- التركيز على ما يريده الشخص، وليس على ما لا يريده.

١٣- التركيز على الجوانب المضيئة في الحياة، لأن التركيز عليها سيزيد كمها.

١٤- عدم سيطرة الشعور بالنقص، وقد تتعدد أسباب هذا الشعور عند الإنسان كارتباطه بالقصور العقلي من الذكاء المحدود أو عدم القدرة على التركيز، أو بالجوانب الجسمانية مثل القصر أو الطول، أو بجوانب اجتماعية من الغنى أو الفقر، أو بالجوانب المعنوية. وقد يكون شعور الإنسان هذا غير حقيقي ولا يظهر للمحيطين به!! وتكمن خطورة الشعور بالنقص عندما يتخذ شكل العادة الفكرية.

١٥- البحث عن الجوانب الإيجابية في كل موقف يعرض له.. لأنه لا يخلو من جانبٍ حسن، أو على الأقل شيء ما يتعلمه الشخص ولو كان التعلم من خلال المواقف القاسية وغير السارة.

١٦- البحث عن الصحبة الإيجابية، والحرص على التواجد وسطها.

١٧- تحديد الهدف، فكثيرون يشعرون بالتعاسة في حياتهم لأنهم لا يعرفون ماذا يريدون!! كما أن تحديد ما تريده أول خطوة على طريق النجاح، وإذا أردت أن تنجز شيئا مهما فعليك بالتركيز عليه، واترك ما يبعدك عنه.

١٨- التدرب على التفاؤل، وذلك بمحاولة إيجاد الأمور الإيجابية في الأوضاع السلبية، ومحاولة تقييم التجارب -حتى الفاشل منها- على أنها خبرات تضاف للحياة، وأنها دروس يتعلم منها أن تكون أكثر صلابة.

١٩- عدم المبالغة في وصف المشكلة التي يواجهها الداعية، بل يحاول أن يقلل من شأن المشكلة، ويعرف أسبابها، ويحسن التوكل على ربه، مع إحسان الظن به سبحانه.

➤ رابعاً: الإيجابية في حياة الدعاة:

الداعية الإيجابيّ لا يهدأ له بالٌ، ولا تَنطفِئ له جَذوة، ولا يكلُّ ولا يملُّ؛ حتى يُحقِّق هدفه الذي يَسعى إليه وغايتَه المنشودة بإبلاغ رسالة الإسلام للعالمين.

فالداعية الإيجابي لا ينتظر التكليف، بل تدفعه طاقة تولدت من شعوره بقيمة الدعوة.

إن الداعية الايجابي لا يقعد؛ حتى ولو لم يكن له إلا تكثير السواد.

الداعية الايجابي صاحب مشروع ورؤية يقتنع بها ويتفاعل معها.

الداعية الإيجابي يخرج أفكاره من حيزها الضيق إلى مجال الحياة الرحب.

الداعية الإيجابي يفتح الوسائل بإرادة صلبة وعزيمة قوية حتى يصل إلى أهدافه.

الداعية الإيجابي مستعل بإيمانه: شعاره: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] مستعل على القيم والموازين الرديئة، مستعل على شهواته ورغباته يوجهها حيثما أراد، مستعلٍ عن اللصوق بالأرض، كيف لا وهو يأوي إلى ركن شديد؛ يتلقي من الله، ويتجرد لله، ويجول الأرض سعياً في سبيل الله.

الداعية الإيجابي تربيه الجراح، وتشد عُوده الصدمات، شعاره: نفس لهوها التعب[(١)].

الداعية الإيجابي يَستشعِر مسؤوليَّته كفرْد عن تبليغ وتنفيذ أوامر الله ونواهيه، وعن إيصال رسالة الإسلام للعالمين.

الداعية الإيجابي لا يستصغر أي عمل في سبيل الله، فالله تعالى يقول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال رسول الله ﷺ: **(لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاكَ بوجه طَلْقٍ)**[(٢)].

---

(١) ملخص مقال بعنوان: الداعية الإيجابي لعادل مناع منشور على الشبكة في موقع صيد الفوائد.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦).

الداعية الإيجابي لا يكلف نفسه ما لا تُطيق، فيؤدِّي ذلك به إلى الفُتور واليأس.

الداعية الإيجابي عندما تعرض له مشكلة يفكر في الحل، فهو يرى أن لكل مشكلةٍ حلٌ، فهو داعية إيجابي لا تنضب أفكاره، فيرى في العمل والجد أملاً وليس ألماً.

الداعية الإيجابي يصنع الأحداث وينظر للمستقبل بتفاؤل، مما يجعله يؤثر في هذه الدنيا، شعاره قول الرسول ﷺ: **(إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)**(١)، أما السلبي فهو زائد عليها.

إن الايجابية نعمة من الله ﷻ على الداعية، من تمسك بها حصل على الخير، والنجاح والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

بالإيجابية يصبح للدعوة معنى وهدف، حيث يتحرك الداعية في اتجاهات الخير وهو مدركٌ لهدف هذ التحرك.

القيمة السادسة

الإتقان

✧ أولاً: مفهوم قيمة الاتقان:

الإتقان هو: عمل الشيء على أحسن وجه.

أي: أداء العمل:

١- بدقة ومهارة وإخلاص.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٢٩٠٢)، الأدب المفرد للبخاري (٤٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٨١)، وصحيح الجامع (١٤٢٤) والصحيحة (٩).

٢- دون خلل ناتج عن تقصير.

٣- الالتزام بالمتطلبات، والتقيد بالضوابط المتعلقة بالعمل.

٤- والحرص على القيام به في الوقت المحدد دون تأخير.

٥- بل التفكير بتطوير العمل لاحقاً لمستويات أفضل.

✧ ثانياً: الأدلة على قيمة الاتقان:

إن إتقان العمل قيمة عظيمة أكد عليها الإسلام، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢]«أي: تعلم الكتاب ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بجد وحرص واجتهاد»[١].

وإن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أبدع الكون حولنا بدقة وإحكام، كي نأخذ من ذلك العبرة في جميع أعمالنا!، قال تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨]. وقال تعالى عن الإنسان: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧]. وقال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال عن كتابه: ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

وقال ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[٢].

فمن معاني الإتقان: الإحسان، وهو لفظ أرقى وأبلغ من مجرد الإتقان، والإحسان أن نتقن أعمالنا ونحن نستشعر مراقبة الله لنا، كما يُفهم من قوله ﷺ: **(الإحسان أن تعبد**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢١٦.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٢٣٢ (٤٩٢٩) وحسنه الألباني، في صحيح الجامع رقم (١٨٧٦)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١١١٣).

الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[١].

فالإحسان أن يجمع المؤمن بين الإتقان والرقابة حين يؤدي عمله، حيث إن الرقابة في الإسلام رقابة ذاتية بالدرجة الأولى، نابعة من إيمان الفرد بالله، واستشعار رؤيته له، ومراقبته لعمله، وحين تترسخ هذه القيمة في النفس المؤمنة تنتج أعمالاً في غاية الإتقان والإحسان، ولكن المشكلة الحقيقية حين تبهت تلك القيمة في النفوس فلا ينتج عنها إلا ما نراه اليوم من تناقضات يندى لها الجبين!

✧ ثالثاً: نماذج من الحث على الإتقان:

ولنتوقف عند قول النبي ﷺ: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة. وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته)[٢] إن القيمة العملية هنا هي الإحسان، حتى لو كان الأمر ذبح حيوان، فما بالنا بما فوق ذلك!

والمتأمِّل في عبادة النبي ﷺ يَجِدُ أَنَّ عِبَادَتَهُ مُتقَنَةٌ. روى البخاري ومسلم عمن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعاً، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ»[٣].

وقال رسول الله ﷺ حاثًّا على اتقان الوضوء: (لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا)[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٥٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره (١١٤٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ (٧٣٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: الوضوء ثلاثا ثلاثا (١٦٠)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله (٢٢٦).

وقال ﷺ: **(إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ)**(١).

وكان رسول الله ﷺ ينمي ويشجع إتقان التخصص، فيشجع قُرّاءَ القرآن، فيقول رسول الله ﷺ لسالم مولى حذيفة رضي الله عنهما عندما سمعه يقرأ القرآن بصوت جميل: **(الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك)**(٢)، ويقول لأبي موسى رضي الله عنه: **(لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)**(٣).

ويقول ﷺ: **(الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ)**(٤).

وفي إتقان الجانب العملي روي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرؤوننا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا **(يقترؤون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل)**، قالوا: فعلمنا العلم والعمل(٥).

✧ رابعاً: أهمية الإتقان في حياة الدعاة:

الإتقان سمة أساسية في الشخصية المسلمة يربيها الإسلام فيه منذ أن يدخل فيه، وهي التي تحدث التغيير في سلوكه ونشاطه.

والمسلم عامة والداعية خاصة مطالب بالإتقان في كل عمل تعبدي أو سلوكي أو

(١) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب في تحسين كفن الميت (٩٤٣).

(٢) مسند أحمد ٤٢/ ١٩٦ (٢٥٣٢٠) قال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن لغيره.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافر، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (١٨٨٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] (٤٩٣٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع به (٧٩٨).

(٥) مسند أحمد ٣٨/ ٤٤٦ (٢٣٤٨٢) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

معاشي أو دعوي؛ لأن كل عمل يقوم به المسلم بنيّة العبادة هو عمل مقبول عند الله، يُجازى عليه سواء كان عمل دنيا أم آخرة.

فالإتقان يجعل الداعية مميزاً بين إخوانه الدعوة والمدعوين، ويترك أثراً جميلاً في نفوسهم.

والإتقان يساهم في تقليل التكاليف والجهود الدعوية.

الإتقان يرفع معنويات الداعية ويحسن نفسيته، فكلما شعر الداعية أنه أتقن في عمله سيشعر براحة وسعادة ويسعى بشكل أكبر لتحقيق أهدافه.

الإتقان يثمر الأجر والثواب الذي أعدّه الله سبحانه في الآخرة لمن أتقن عمله.

الإتقان يجلب للداعية التوفيق والنجاح.

الإتقان يؤثر على مجتمع الداعية فيرفعه في جميع المجالات الدينية والدنيوية، وينتشر الخير والفائدة لجميع المُجتمع الإسلاميّ.

الإتقان يجعل الداعية يبتعد عن الرّياء والسمعة ويُحذّر من النّفاق، ويُحاسب نفسه على كل عمل يُقدّمه أو يصدر عنه؛ لأنّ الداعية إذا شعر بمراقبة الله سبحانه له أتقن عمله، ونال بذلك محبّة الله ومحبّة العباد.

إتقان الداعية يعزز قوّته في مُواجهة أعداء الإسلام، يظهر قوة المسلمين.

الإتقان يُكْسِبُ الداعية مَحبّة الآخرين من حوله، لأنه يرتقي بمُستواهم الديني والاجتماعيّ ومستواه الفكريّ، ويسعى في حاجتهم.

وإنَّ عدم الإتقان يؤدي إلى إساءة الظن بالداعية وتشويه صورته، بل والإساءة إلى الدين وتشويه صورته.

الإسلام يأبى أن يأكل مسلم حراماً بعدم إتقانه للعمل، ومن أهم أخلاقه الأمانة، والأمانة تقتضي من العامل أن يقوم بعمله على أكمل وجه، وأفضل حال.

الإتقان العلمي والعملي والدعوي له أثره الكبير على النفس، حيث يصبح الداعية صاحب همة عالية ولا يقبل بالدون، وكذلك له أثره على من حوله، فيظهر أمام المجتمع الذي يعيش فيه بصورة المسلم المتميز العالم المتقن، وهذا يكسبه مصداقية بين الناس، ويُعلي من شأنه وشأن الدين الذي يحمله، وهذا بحد ذاته تعريف صامت بالإسلام.

✧ خامساً: تنبيهات منهجية عملية حول الإتقان في حياة الدعاة:

لا بد أن يتنبه الدعاة إلى أن من أسباب تأخر النصر عدم إتقان العمل.

ولا بد أن يعلم الداعية أن العمل القليل المتقن خير من العمل الكثير الذي لم يتقن، فالإتقان أهم من الكثرة، وهذا ينطبق على كل عمل من أعمال الدنيا والآخرة.

ولا بد أن يعلم الداعية أن قيمة الإتقان في الإسلام ليست مقصورة على العبادات وحدها، -وإن كانت عبادة الله أجل الأعمال-، ولكن عمارة الأرض بشتى أنواع العمل يدخل ضمن الاستخلاف في الأرض والدعوة إلى الله من مقومات الاستخلاف في الأرض، وذلك يحتاج إلى إتقانٍ في التعلم والعمل والتبليغ.

ولا بد أن يعلم الداعية أن الإتقان لا بد أن يكون في كل مجالات حياته، وليس مقصوراً على الإتقان في تبليغ الدعوة، فالإتقان يكون في العلم والوظيفة والدعوة والأسرة، وهذا الشمول في الإتقان يعطي انطباعاً حسناً عن الدعاة في مجتمعاتهم.

فلا بد من إدراك ودراية جميع الدعاة أهمية إتقان العمل الدعوي والعمل الوظيفي ووسائل التطوير فيها كليهما.

ومما يعين الدعاة على الإتقان الالتزام بتنسيق وترتيب وتوزيع المهام بطريقة دقيقة، وأسس قوية ومرتبطة بشكل مباشر بمهام الدعوة.

مع أهمية وضع كل داعية في مكانه المناسب، وأن يختار ما يتقن.

ولا بد من العمل على متابعة الدعاة لبعضهم، ومتابعة الداعية لنفسه، والتقييم بشكل منتظم ومبني على أسس مهنية؛ من أجل التطوير ومواكبة العصر، من خلال تنمية مهارات الدعوة، وتطوير قدرات الدعاة والمؤسسات الدعوية بشكل دوري ومنتظم، للحفاظ على جودة ونوعية العمل.

وأن يكون للدعاة وعي بضرورة الالتزام بأخلاقيات العمل، والتحلي بالصدق والأمانة، والقيام بالعمل بكل إخلاص وتعاون، والحرص على العمل ضمن روح الفريق دون أنانية، وتقبل النجاحات الفردية لأنها تصب في المصلحة النهائية لإتقان العمل.

القيمة السابعة

علو الهمة(١)

أولاً: مفهوم علو الهمة:

قال ابن القيم في تعريف الهمة: «والهمة فعلة من الهمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمَّة نهايتها»(٢).

والهمة في الاصطلاح هي: «توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب

(١) ينظر: علو الهمة للشيخ محمد إسماعيل المقدم، صلاح الأمة في علو الهمة للشيخ سيد حسين العفاني.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٥.